



تفسير القرآن الكريم
سوريا - دمشق - مسجد عبد الغني النابلسي



تفسير سورة البقرة شرح الآيات 83-85

nooraldeen.com

03/07/2026

سورة البقرة - 15: شرح الآيات 83-85

(002) سورة البقرة

2026-07-03

سورية - دمشق

مسجد عبد الغني النابلسي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين.

اللهم علّمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علّمنا وزدنا علماً وعملاً مُتَقَبَّلاً يا رب العالمين.

اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنّات القربات.

وبعد أيّها الكرام: فهذا لقاءنا الرابع عشر من لقاءات تدبّر سورة البقرة، وقد وصلنا إلى الآية الثالثة والثمانين من السورة وهي قوله تعالى بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَالَّذِينَ إِخْسَاؤُهُ وَالْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ
وَأَتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ (83)

(سورة البقرة)

مقدمة تذكيرية:

ما تزال الآيات تتحدّث عن بني إسرائيل وتعلّمنا من خلالهم، وتبيّن لنا المقطّبات من خلال ما وقعوا به، وتبيّن لنا الأمراض التي يمكن أن نَعْبَ بها، وقد أسلفنا سابقاً أنّ البقرة كانت من أوائل السور التي نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم عَقِبَ دخوله المدينة بعد الهجرة، والمسلمون بدأوا بتأسيس دولتهم، ويمكن أن تقع عندهم من الأمراض ما وقع مع بني إسرائيل الذين يُقيمون في المدينة، فكان الأسلوب التعليمي في القرآن الكريم، أن يُعلم أمة الإسلام بيني إسرائيل، الذين كان منهم ما كان من أمراضٍ، من مُخَالَفاتٍ، من تجاوزاتٍ، حتى تتعلم من خلالها.

معنى الميثاق:

هو لما أنشأ كانت النية صحيحة لكن الفعل غلط، لأنه اللهم من دون الله، هذا صالح لكن يدك على الله، لكن لها غالوا في محبة الصالحين، وصلوا إلى عبادتهم، فصار وداً وسواً وتغوت وتغوت وتغوت أصناماً تعبد من دون الله، وهم في الأصل رجال صالحون، فقال تعالى: **(لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ)** هذا نداء للمسلمين، العبادة لا تتوجه إلا إلى الله، تتعلم من الصالح المصلح العالم لكن لا تعبد من دون الله، لا تعبد الطواغيت، لا تعبد الأصنام، لا تعبد الدرهم.

{ تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعِسَ عَبْدُ الدَّرْهَمِ، تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيصَةِ، تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيلَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رِزْقِي، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَائْتَكَسَ، وَإِذَا نَشِيكَ فَلَا انْتَقَسَ، طُوِيَ لَعِبْدٍ آخِذٍ بِعَتَانٍ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَشْعَثَ رَأْسَهُ، مُعَبَّرَةً قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الْجِرَاسَةِ كَانَ فِي الْجِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنْ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ سَقَعَ لَمْ يُسَقَّ }
(أخرجه البخاري)

هناك من يعبد بطنه، هناك من يعبد قرحه والعباد بالله، هناك عبادة ظاهرة، إلى اليوم هناك عبادة للبقرة، وعبادة للفرح والعباد بالله، وهناك عبادة باطلة، التوجه غير صحيح لله، وهؤلاء بنو إسرائيل ما كان جميعهم متوجهين إلى عبادة غير الله الظاهرة، كثير منهم عبادة باطنة، القلب متعلق بطواغيتهم، أمّا بالظاهر نحن نعبد الله.
فقال: **(لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ)** والعبادة اسم جامع لكل خير، من الطريق المعبدة، ما معنى طريق معبدة؟ وطنها الأقدام حتى دلت، معبدة، والإنسان يعبد حياته لله، زواجه، ذريته، أولاده، طريقته في الحياة، ضحك، رضاه، غضبه، يعبد حياته لله، أي يجعل حياته وفق منهج الله، أمّا العبادات الشعائرية فهي جزء عظيم من هذه العبادات، وهي الصلاة والصوم والزكاة والحج، لكنها ليست العبادة كلها، وإنما العبادة: لعبك عبادة، وتزهدك عبادة، وطعامك عبادة، ومسامرتك أهلك عبادة، وهكذا.. **(لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ)** إخلاص العبادة.

قَرَنَ اللَّهُ الْإِحْسَانَ إِلَى الْوَالِدَيْنِ بِعِبَادَتِهِ:

الثانية قال: **(وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)** والله تعالى قَرَنَ العبادة بالإحسان إليه في ميثاق بني إسرائيل، بالإحسان إلى الوالدين، قَرَنَ الإحسان إلى الوالدين بعبادته في ميثاق بني إسرائيل، وقَرَنَهُمَا في توجيهنا في سورة الإسراء:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقَصَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (23)

(سورة الإسراء)

للدلالة على أهمية ير الوالدين، وقال: **(وَالْوَالِدَيْنِ)** وهذا الباء يسميها اللغويون باء الإلصاق، ما معنى الإلصاق؟ لما قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (6)

(سورة المائدة)

المذاهب الفقهية تنوعت في فهم هذه الباء، وبناءً عليها تنوع الفهم في القدر المجزئ في الوضوء بمسح الرأس، الجميع اتفقوا أن مسحه كاملاً هو السنة، تبدأ من مقدم الرأس إلى الوراء وترجع، هذه السنة وهذا ما ينبغي أن نفعله، لكن كم القدر المجزئ؟ من الباء، فالذين قالوا الباء للإلصاق، قالوا: نلصق يدنا بالرأس، كم تأخذ؟ ربع الرأس، وهم الحنفية فقالوا: الباء للإلصاق، وهي معنى من معانيها.

والذين قالوا: الباء للتبعض، أي من رؤوسكم، قالوا: ثلاث شعرات، أي لو مسح قليلاً يكفي، وهم الشافعية، والذين قالوا: الباء زائدة، قالوا: وامسحوا رؤوسكم، وهم الحنابلة فقالوا: كامل الرأس واجب، طبعاً الأولى بالمسلم أن يمسح كامل رأسه.

ينبغي أن تحسن لوالديك بنفسك لا أن توظف لهم الأشخاص:

فهنا الباء كما قال أهل اللغة للإلصاق، ما معنى للإلصاق؟ **(وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)** أي أنت أصبحت مدير شركة، أو مُعلِّم، أو مشغول بأسرتك، أو إلى آخره... والمشاعل كثيرة، فقلت لنفسك: أنا الحمد لله أغناني الله تعالى، سأوظف موظفًا يعتني بوالدي، وأنا يوم الخميس من كل أسبوع أقوم بزيارتهم ساعة من الزمن، والحمد لله الأمور بخير، لا، **(وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)** أنت ينبغي أن تحسن إليهما، لأنهما لا يريدان الموظف يُريدانك أنت، يُريدان أولادك، يُريدان أن يروك وأنت شاغ مُكتمل، أن يروا إنتاج عملهم، إنتاج تربيتهم، فقد توكل بعض المهام لبعض الأشخاص، لكن لا بُدَّ أن تقوم ببعض ذلك بنفسك، أنت تذهب، وأنت تُلبي الحاجات، وأنت تقوم بالخدمة، فقال: **(وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)**.

وقال إحسانًا مع أنَّ يَرُ الوالدين فرض، قال: لأنَّ الفرض مفروغٌ منه، أي لا يؤمر الإنسان بشيء يجب أن يفعله فرضاً، أي كأنك تقول لإنسان: تنقّس، يقول لك: أنا إتنقّس بشكلٍ لا إرادي، لأنني إن أوقفت التنقّس أموت، فالتنقّس فريضة واجبة لا يؤمر بها الإنسان، فقال: **(وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)** أي لا تكتف بالفرض وإنما زد عليه الإحسان **(وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)**.

الأقربون أولى بالمعروف:

الوصية الثالثة قال: **(وَدَى الْفُرْشَى)** بدأ بالوالدين وهُم من ذوي القرى، وعَمَّم بذوي القرى عموماً، كل من تربطك به صلة قرابة، فالله تعالى أخذ عليك الميثاق أن تلتفت إليه، بالاطمئنان، بالرعاية، بتقديم المعونة إن كنت قادراً وكان محتاجاً، بدعوته إلى الله **(وَدَى الْفُرْشَى)** القريب هذا ليس له إلا قريبه، الآخرون أنت لهم وغيرك لهم، أمّا قريبك فأنت مُلزمٌ به، لذلك: **الأقربون أولى بالمعروف**.

بُدهشني وبُرعني كثيراً، أنني أجد بعض المُحسنين الكبار، إذا جلس في مجلسٍ وُفِّح باب التبرّعات يقول: أنا عليّ كذا، وعليّ كذا، وإذا كان هناك جمعيةٌ خيرية يقول لك: يدفع لنا كل شهر كذا، ثم تسمع أن ابن أخيه فقيراً، أو ابن عمّه لا يجد علاجاً فيقف على أبواب الجمعيات من أجل العلاج، ويقول لك: أنا لا أحبه، ما هذا الكلام؟! هذا أنت مُلزمٌ به، فالله تعالى أوصى بذى القرى، لأنه إذا كل قريبٍ رعى قريبه انتهت المُشكلة، هذا التكافل الاجتماعي.

قال: **(وَدَى الْفُرْشَى وَالْيَتَامَى)** واليتيم هو من فقد والده، لأنَّ الوالد هو السند والمُنْفِق، فاليتيم من فقد والده.

الفرق بين الفقراء والمساكين:

(وَالْمَسَاكِينِ) المسكين من السكون والهدوء، وعندنا فقراء وعندنا مساكين، وهاتان الكلمتان قال العلماء: إذا اجتمعنا افترقتا وإذا افترقتا اجتمعتا، أي إذا ذكر الله المساكين، فالفقراء داخلون ضمناً فيهم، إنما قرأت المساكين أي الفقراء والمساكين، وإذا قرأت الفقراء فهم الفقراء والمساكين، أمّا إذا قال تعالى: للفقراء والمساكين، فكل واحدٍ لها معنى، فإذا اجتمعنا افترقتا، تُعشّر كل واحدٍ بمعناها، وإذا تفرقتا اجتمعنا هذا معنى ذلك.

ما الفرق بين الفقير والمسكين؟ الفرق نأخذ من كتاب الله تعالى، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَمَّا السَّفِيهَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَزَدْتُ أَنْ أُعِيْبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِيهَةٍ عَصَاً (79)

(سورة الكهف)

إذاً المسكين عنده عملٌ لكن لا يكفيه، أمّا الفقير فما عنده شيء، المسكين ساكن ما عنده حركة كثيرة في الحياة، هو يأكل ويشرب لكن دخله لا يكفيه، تقول: لكنه يعمل! نعم يعمل لكن الدخل قليل، فهذا يستحق الزكاة ويستحق الصدقة.

أمّا الفقير لا يجد شيئاً، ما عنده عمل، عنده مُشكلة تمنعته من العمل، سعى ولم يجد عملاً، أمّا المسكين: **(أَمَّا السَّفِيهَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ)** عندهم سفينة لكنهم مساكين، يبدو أنهم كثر فيتفاسمون، ماذا تنفع السفينة؟ لا تكفيهم شيئاً، فسماهم الله تعالى مساكين، **(وَالْمَسَاكِينَ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا)**.

بنو إسرائيل قال لهم تعالى: **(وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا)** ونحن قال لنا:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا (53)

(سورة الإسراء)

بنو إسرائيل قال لهم تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (40)

(سورة البقرة)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (41)

(سورة الأحزاب)

كل ما كنت أقرب إلى الإيمان بالغيب، فإنَّ الله يوصيك بالمرحلة الأعلى، فهناك حسن وهناك أحسن.

يجب على المؤمن دائماً أن يختار الأحسن:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَعْتَهُ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (55)

(سورة الزمر)

في القرآن بإمكانك أن تأخذ حقك وبإمكانك أن تغفو، أيهما الأحسن؟ أن تغفو.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (43)

(سورة الشورى)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مُمْلَاهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْزُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (40)

(سورة الشورى)

هذا ما زاد:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ۖ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ (126)

(سورة النحل)

إذاً دائماً المؤمن يختار الأحسن، نحن في الدنيا دائماً نحاول أن نأخذ الأحسن، لا أحد يرضى الأقل، إذا كان يستطيع يقول له: هذه السيارة فيها مِيزَة أكثر فيها فتحة سقف، يقول لك: أريد هذه التي فيها فتحة سقف، وهو يمكن ألا يفتحها مرة في السنة، لكنه يريد الأحسن، فالإنسان دائماً بحياته يسعى إلى الأحسن، أمّا في الآخرة يقول لك: نحن نريد أن نكون خلف الباب في الجنة لا نريد أكثر، لماذا؟!

{ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، جَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَقَلَّ تُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِئَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفَرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ -أُراه- فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَقَعُّزُ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ }

(أخرجه البخاري)

كُنْ طموحاً مع ربنا، ربُّ كريم لا تطلب شيئاً على الهامش، قُلْ له: يا ربُّ أريد الفردوس لا أريد خلف الباب، واعمل لذلك طبعاً، لأنَّ "طلب الجنة من غير عمل ذنب من الذنوب" كيف يعني ذلك؟ أي كشخصي دخل إلى الجامعة وقال لهم: السلام عليكم، أريد من عندكم شهادة أنني أصبحت طبيباً، فإذا كان عميد الكلية مُحترماً جداً ممكن أن يُخرجه دون أن يضره، لأنَّ هذا ذنبٌ أن تطلب من كَلِيَّةٍ مُحترمة أن تُعطيك شهادة في الطب وأنت لم تُقدِّم الامتحانات، فقال العلماء: طلب الجنة من غير عملٍ ذنبٌ من الذنوب، يقول: يا ربُّ الجنة وهو لا يُصلي! يُروى أنَّ رجلاً كان يقف على باب الكعبة، ومُلتجئ إلى الله ويقول: يا ربُّ الولد الصالح يا ربُّ الولد الصالح، خلفه شخصٌ يعرفه ويعرف أنه غير مُتزوج، فَرَبَّتْ على كتفه وقال له: يا فلان هل تزوجت؟ قال له: لا والله! فَيُشَبِّه حاله مَنْ يقول: يا ربُّ الجنة وهو لا يُصلي. أنت صليت، عبدت ربنا، اتقيته، ثَبِتْ إليه من الذنوب، عاهدته على الطاعة، قبل أن تقول: يا ربِّي الجنة. قال: (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا) كُلُّهُمْ بِالْحُسْنِ أي لا تَقُلْ كلمة سيئة، هناك مُنْعَةٌ اسمُها مُنْعَةُ الاستفزاز، يَتَمَنَّى باستفزاز الآخرين، يقول لك: بقيت أستفِرُّه حتى أخرجه عن طوره، ويفتخر ويقول لك: لم أعُد أعرف ما ينطق به من كلام، وبضحك!! هذا عمل الشياطين.

شَرُّ النَّاسِ مَنْ يَتَجَنَّبُهُ النَّاسُ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَاسْتَغْفِرْ مَنْ اسْتَطَلَعَتْ مِنْهُمْ بِضُؤْنِكَ وَأَجْلَبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجُلِكَ وَشَارَكَهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدَّتِهِمْ وَمَا يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (64)

(سورة الإسراء)

لا تستفِرُّه، أنت استخرج أفضل ما في الناس، افتخر عندما تقول: أنا الحمد لله صبرت حتى أخرجت فيه أحسن ما فيه، وليس حتى أخرجت عنده أسوأ ما فيه فافتخر!

{ أَنَّ رَجُلًا اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا رَأَاهُ قَالَ: بَنَسْ أَخُو الْعَنْبِيرَةِ، وَبَنَسْ ابْنُ الْعَنْبِيرَةِ، فَلَمَّا جَلَسَ تَطَلَّقَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَجْهِهِ وَاتَّبَسَطَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا انْطَلَقَ الرَّجُلُ قَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جِئَ رَأَيْتَ الرَّجُلَ قُلْتَ لَهُ كَذَا وَكَذَا، ثُمَّ تَطَلَّقْتَ فِي وَجْهِهِ وَاتَّبَسَطْتَ إِلَيْهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا عَائِشَةُ، مَتَى عَهْدَتِي فَحَاشَا؟ إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَ النَّاسَ اتِّقَاءَ شَرِّهِ }

(صحيح البخاري)

شَرُّ النَّاسِ هُوَ الَّذِي يَقُولُ النَّاسُ عَنْهُ: هَذَا لَا تَقْتَرِبُوا مِنْهُ لِسَانَهُ سَلِيطًا، هَذَا شَرُّ النَّاسِ.

(وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ) إقامة الصلاة تعبير عن حُسن العلاقة بالله، وإيتاء الزكاة تعبير عن حُسن العلاقة بالناس، فكل ما يُقَرِّبُكُمُ من الله فافعله، وكل ما يَحْدِمُ عِبَادَ اللَّهِ فافعله.

وإقامة الصلاة لا تعني صلوا، ربنا لم يُقَلِّ بالقرآن صلوا، قال: (أَقِيمُوا) أي ائتوا بها على النحو الذي يُريده الله، إقامتها يعني أن تؤتي بفرائضها وسُنَنِهَا وخشوعها، وأن تنتهي عن الفحشاء والمنكر، أمّا صلوا، فليس كل مُصَلٍّ يُصلي.

التعميم من العمى:

قال: (ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ) أعرضتم لم تلتزموا بالميثاق (إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ) انظر إلى موضوعية القرآن الكريم، لا تقل: الكل تولى، قل: الأغلب، الأعم، البعض، دائماً إذا أردت أن تحكّم فانتقي عبارات الحكم بالأغلبية والبعضية لا تذهب إلى الكل، التعميم من العمى.

ذهب إلى مُحامي والمُحامي غشيه، فقال: كل المُحامين دَجَّالون، ذهب إلى اللحام فزاد له قليلاً من الدهن في اللحم، فيقول: كل اللحامين غشَّاشون، ما هذا الكلام؟! هذا كلام غير موضوعي، هذا كلام فيه استهزاء بالناس، ويُسأل عنه الإنسان لأنه اعتاب كل الناس مع بعضهم، أو يقول: كل أهل هذه المنطقة ما عندهم دين، البلد كله لا دين فيه!! هكذا يفعل بعض الناس، فأنت لا تعمّم في الأحكام أبداً، قل: الأغلب، هذا طئي، هذا اعتقادي، اعتقد ذلك، دائماً، ولا تعمّم على المحكوم.

فقال: (إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ) ليس الكل (ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ) لماذا قال تعالى: (وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ) أي ثم أعرضتم وأنتم مُعرضون، تكفي ثم أعرضتم، لا، لأنّ الإنسان قد يُعرِض ولا يكون هدفه الإعراض، سأضرب مثلاً:

شخص لك دين معي، رأيته قداماً من بعيد، وأنت رجلٌ مُحترم وتعرف أنّ وضعه صعب، وإذا رأيك سيتحرّج منك كثيراً ويعتذر، وأنت شخصٌ راقٍ جداً، فمباشرةً أعرضت عنه وتظاهرت بأنك لم تره، فأنت أعرضت ولكن هل هدفك الإعراض أم هدفك راقٍ جداً وهو ألا تُخرجه؟ لذلك قال تعالى للذين يتولون يوم الزحف:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَنْ يُؤَلِّهْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّعِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبُئْسَ الْمَصِيرُ (16)
(سورة الأنفال)

ففي يوم الزحف ممكن الإنسان أن يتولّى، أنت رأيته فقلت: لقد تولى من الزحف، لكن هو ذاهبٌ إلى جماعة ثانية بنفس المعركة، ولكنهم الآن يتعرّضون لعداوةٍ شديدةٍ من الأعداء فذهب إليهم (إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّعِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ) فالمنظر أنه ذهب إلى مكان آخر من أجل مصلحةٍ أعلى، فهذا لا يُسمّى تولى، فانظر إلى الدقّة القرآنية قال: (ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ) ليس التولي الذي لسببٍ أو لآخر، قال: (وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ) هدفكم الإعراض عن منهج الله، وترك منهج الله عزّ وجل.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَسْهَوُونَ (84)
(سورة البقرة)

من موثيق بني إسرائيل ألا يسفك بعضهم دماء بعض:

ميثاق آخر من موثيق بني إسرائيل، ألا يسفك بعضهم دماء بعض، لماذا لم يقل: لا تسفكوا دماء بعضكم؟ وإنما قال: (لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ) لأنّ سفكك لدم أخيك إنما هو سفكٌ لدمك، فأخوك هو أنت، هذا المجتمع الذي ينبغي أن يكون، ولأنه من زاويةٍ أخرى إذا سفكت دمه سيؤدّي إلى النار فسيسفك دمك، فكأنك سفكت دمك، المعنيان معاً، هذا يُشير إلى أنّ القتل لا يأتي إلا بالقتل، ويُشير إلى أنّ الإنسان عندما يسفك دم أخاه فإنما يسفك دمه، وعندما ينتهك عِرَضَ أخيه فإنما ينتهك عِرَضَه.

{ إِنَّ مِنْ أَكْثَرِ الْكَاذِبِينَ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالَّذِي قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالَّذِي؟! قال: يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ }

(أخرجه البخاري ومسلم)

فهو لعن والديه والعياد بالله عندما لعن آباء الآخرين.

(لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ) اعترفتم بذلك الميثاق، وأخذت عليكم الميثاق والإقرار (وَأَنْتُمْ تَسْهَوُونَ) والمُساهدة تعني مُشاهدة العين، لذلك نحن نقول في الشهادة: أشهد أنّ لا إله إلا الله، فكأنك ترى أنه لا معبود بحقٍ إلا الله، وأنه لا يوجد في الكون جهةٌ تستحق العبادة إلا الله، وأنه لا مُعطي ولا مانع، ولا خافض ولا رافع إلا الله، فأنت تشهد وكأنك ترى بأَمِّ عينيك، هكذا ينبغي أن تكون الشهادة: أشهد أنّ لا إله إلا الله، لأنه الشاهد عندما يؤتى به إلى المحكمة، يجب أن يكون قد شاهد بعينه، ويُفهم أنه رأى، وليس من رأى كمّن سميع، وكما قال صلى الله عليه وسلم:

{ الشاهد يرى ما لا يرى الغائب }

فَهِنا قال: (وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ) أي الأمر موثوق منه بالمنة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقُولُونَ أَنْفُسَكُمْ وَنُخْرِجُونَ قَرِيبًا مِّنْكُمْ مِّن دِيَارِهِمْ تَطَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِيمِ وَالْعُدُوانِ وَإِنْ يَأْتِوكُمْ أُسَارَى تَقَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا جِزْيُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِعَاقِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (85)

(سورة البقرة)

كل الحروب في الأرض تُثار من اصطفاقات اليهود:

قال: هؤلاء للإشارة، للاتفات حتى يُتَبَيَّنَ إلى الكلام (ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقُولُونَ أَنْفُسَكُمْ) كيف قتلوا أنفسهم؟ لما جاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، المدينة كان فيها الأنصار، والذين هم الأوس والخزرج، وكان هناك عداوات مستمرة بين الأوس والخزرج على الزعامة في المدينة، وهذه العداوات بين المشركين الأوس والخزرج، كانت مُحْتَمَّةً في أوجها عندما جاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة.

فاليهود بنو قريظة، وبنو النضير، وبنو قينقاع، بدأوا كل فرقة تذهب مع فرقة من الأوس أو من الخزرج، قريظة هنا، والنضير هنا، وقينقاع هنا، فبدأوا يتحزبون مع الأوس والخزرج، عندما تنشب الحرب بين الأوس والخزرج، يقتل اليهودي أخاه اليهودي في المعركة، ويُخْرِجُهُ من دياره، ويُجْلِيهِ عن دياره، فقط من أجل إثارة الحروب، من ألف وأربعمئة سنة وإلى اليوم لم يتغيروا، كل الحروب في الأرض تُثار من اصطفاقات اليهود حتى اليوم، كل الحروب، يبيعون السلاح إلى هذا وإلى هذا ويجلسون ويتفرجون، يستغلون ضعفنا والمشكلات التي بيننا ويُشعلون الحرب، ويقوم وجودهم على إشعال الحروب، انظر إلى القرآن الكريم كيف يصف حالهم، لم يتغيروا.

فقال: (ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقُولُونَ أَنْفُسَكُمْ وَنُخْرِجُونَ قَرِيبًا مِّنْكُمْ مِّن دِيَارِهِمْ) بالحرب التي بين الأوس والخزرج تدخلون أطرافاً فيها.

(تَطَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ) المُطَاهَرَةُ أَنْ يُعْطِيَ كل إنسان طهره للآخر، يقول لك: خرجنا مُطَاهَرَةً، أي كَأَنَّ كل واحدٍ سَتَدَ الآخر يطهره، لِأَنَّ الطَّهْرَ هو القوة بالإنسان، فتطاهروا أي اجتمعوا (تَطَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِيمِ وَالْعُدُوانِ) الإثم هو أي شيء يُغْضِبُ الله تعالى فهو إثم، والعدوان هو الاعتداء على الآخرين، بأعراضهم، بأموالهم، بأنفسهم.

(وَإِنْ يَأْتِوكُمْ أُسَارَى تَقَادُوهُمْ) الآن المعركة انتهت، فهذا اليهودي يرجع عقله إليه، بنو إسرائيل، فيذهب ويدفع الفداء ليطلق الأسير، يقول لك: هذا واجبٌ عليّ، هذا أخي أسير عند الفريق الآخر، فاذهب وأدفع الفدية وأخرجه.

قال: (وَإِنْ يَأْتِوكُمْ أُسَارَى تَقَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ) لماذا أخرجته في الأصل ثم جئت تدفع فديته؟ ما هذا التباكي؟! دموع التماسيح، (وَإِنْ يَأْتِوكُمْ أُسَارَى تَقَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ) لماذا أخرجته من دياره أصلاً؟ ثم جئت تزعم أنك جئت لإعطاء حقوق الإنسان! (وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ).

(أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ):

الآن موطن الشاهد في النص، وهو ما يُعَلِّمُنَا الله من خلاله أُمَّة الإسلام، قال: (أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ) موضوع سفك الدماء والإخراج من الديار، كفرتم به، فعلتموه، عند الفداء وفداء الأسرى ودفع المال لفداء الأسرى وجدتموها سهلة فأمتمتم بها، إذا دينكم دين انتقاني، يقول لك: أنا والله كل سنة أذهب إلى الحج، والله شيء جميل، وأنا أسأل الله أن يهب كل واحدٍ منكم حَجَّةً كل عام، لأنه من أعظم الرحلات الرحلة إلى الله في الحج، لكن تجد معاملاته في السوق تجده يتعامل بالربا، الحفل مُختلط، (أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ) الحج خمس نجوم، وهو مقتدرٌ مالياً، ذهائبٌ وعودة مع رجال الأعمال، وعندما يرجع لبلده، تُنْصَبُ له الخيمة ويقام الاستقبال، أمّا موضوع الربا والاختلاط فهذا صعبٌ علينا تركه (أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ) هذا دين الله وهذا دين الله.

الإيمان والعمل مُتلازمان ومُرتبطان:

فمن الناس مَن يَقْتُلُ من دين الله ما يجده مناسباً له ووفق هواه، فإذا جاءت النواهي والأوامر يقول لك: نحن عبيد إحصان ولسنا عبيد امتحان، الله يعفو عثاً، مرضٌ من أمراض بني إسرائيل وقع به كثيرٌ من المسلمين، يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض، وهذه الآية دليلٌ واضح على أَنَّ الإيمان والعمل مُتلازمان ومُرتبطان، وأنَّ العمل جزءٌ من الإيمان، لأنَّ هؤلاء لم يكفروا بالجزء الثاني، ما قالوا: نكفر به لكن لم يفعلوه، فسماهم الله تعالى كُفْرًا، لأنهم تركوه، هم لم يقولوا: نحن نكفر بسفك الدماء، نحن نريد أن نسفك دماء بعضنا، ولكنهم فعلوا ذلك، فقال تعالى: (وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ) يأخذ من الدين ما يُناسبه، ويدع ما يجده ثقيلاً على نفسه، وهذا مرضٌ خطيرٌ من الأمراض.

قال: (أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ) استفهام تقريرى وإنكاري (فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا جِزْيُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) وقد وُفِّعَ عليهم الخزي، فأجلوا من المدينة، وقُتِلَ بعضهم، وحُكِمَ بعضهم بالسبي والذبح لأنهم فعلوا نقض العهد، نقضوا الميثاق (إِلَّا جِزْيُ) أجزأهم الله تعالى، وسوف يُخزبهم الخزي الآخر قادمٌ على الطريق.

(إِلَّا جِزْيُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ) ليته جزئ في الدنيا فحسب، كل عذابٍ ينتهي بالدنيا أموره محلولة، قال: (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ) وَمَا اللَّهُ بِعَاقِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ).

هذا والله تعالى أعلم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.